

ضحايا الحب

obeikandi.com

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ومن والاه، وبعد:

فيظن بعض الناس أن أصحاب الشريعة وأبناء الملة لا يعرفون الحب، ولا يقدرونه حق قدره، ولا يدرون ما هو، والحقيقة أن هذا وهم وجهل، بل الحب العامر أنشودة عذبة في أفواه الصادقين، وقصيدة جميلة في ديوان المحبين، لكنه حب شريف عفيف، كتبه الصالحون بدموعهم، وسطره الأبرار بدمائهم، فأصبحت أسماؤهم في سجل الخلود معالم للفداء والتضحية والبسالة. وقصدت من هذه الرسالة الوقوف مع القارئ على جوانب مشرقة، وأطلال موحشة في مسيرة الحب الطويلة، التي بدأها الإنسان في حياة الكبد والنكد، ليسمو إلى حياة الجمال والجلال والكمال، وسوف يمر بك ذكرٌ لضحايا الحب وقتلاه، وستعرف المقصود مما أردت إذا قرأت، وتعلم ما نويت إذا طالعت.

والله وحده نسأل أن يجعلنا من أحبابه، والشهداء في سبيله.

عائض القرني



obeikandi.com

الحب

الحب ماء الحياة، وغذاء الروح، وقوت النفس.

تعكف الناقاة على حوارها بالحب، ويرضع الطفل ثدي أمه بالحب، وتبني الحُمرة عشها بالحب، بالحب تشرق الوجوه، وتبتسم الشفاه، وتتألق العيون. الحب قاضٍ في محكمة الدنيا، يحكم للأحباب ولو جار، ويفصل في القضايا لمصلحة المحبين ولو ظلم، بالحب وحده تقع جماجم المحاربين على الأرض كأنها الدنانير؛ لأنهم أحبوا مبدأهم، وتسيل نفوسهم على شفرات السيوف؛ لأنهم أحبوا رسالتهم، أحب الصحابة المنهج وصاحبه، والرسالة وحاملها، والوحي ومنزله، فتقطعوا على رؤوس الرماح طلباً للرضا في بدر، وأحد، وحنين، وهجروا الطعام، والشراب، والشهوات في هواجر مكة، والمدينة، وتجاؤفوا عن المضاجع في ثلث الليل الغابر، وأنفقوا النفائس طلباً لمرضاة الحبيب.

بالحب صاح حرام بن ملحان مقتولاً: فزت ورب الكعبة!، بالحب نادى عمير بن الحمام إلى الجنة مستعجلاً: إنها لحياة طويلة إذا بقيت حتى أكل هذه التمرات!، بالحب صرخ عبد الله بن عمرو الأنصاري: اللهم خذ من دمي هذا اليوم حتى ترضى!. لما أحب الخليل - عليه الصلاة والسلام - صارت له النار برداً وسلاماً، ولما أحب الكليم موسى - عليه السلام - انفلق له البحر، ولما أحب خاتمهم حنَّ له الجذع، وانشق له القمر.

المحب عذابه عذبٌ، واستشهاده شهدٌ لأنه محب.

أحبك لا تسأل لماذا لأنني

أحبك هذا الحب رأيي ومذهبني

بالحب يثور النائم من لحافه الدافئ، وفراشه الوثير لصلاة الفجر، بالحب يتقدم المبارز إلى الموت مستثقلاً الحياة، بالحب تدمع العين، ويحزن القلب، ولا يقال

إلا ما يرضي الرب، الحب كالكهرباء في التيار يلمس الأسلاك فإذا النور، ويصل الأجسام فإذا الدفع، ويباشر المادة فإذا الإشعاع، الحب كالجاذبية به يتحرك الفلك، وتتصاحب الكواكب، وتتألف المجموعة الشمسية، فلا يقع بينها خصام ولا قتال، بالحب تتآخى الشموس في المجرة، فلا صدام هناك، ويوم ينتهي الحب يقع الهجر والقطيعة في العالم، وسوء الظن والريبة في الأنفس، والانقباض والعبوس في الوجوه، يوم ينتهي الحب لا يفهم الطالب كلام معلمه العربي المبين، ولا تذعن المرأة لزوجها ولو سألتها شربة ماء، ولا يحنو الأب على ابنه ولو كان في شدة الأسد، يوم ينتهي الحب تهجر النحلة الزهر، والعصفور الروض، والحمام الغدير، يوم ينتهي الحب تقوم الحروب، ويشتعل القتال، وتدمر القلاع، وتلك الحصون، وتذهب الأنفس والأموال، ويوم ينتهي الحب تصبح الدنيا قاعاً صفصفاً، والوثائق صحفاً فارغة، والبراهين أساطير، والمثل ترهات!. لا حياة إلا بحب، لا عيش إلا بحب، لا بقاء إلا بحب، إذا أحببت شممت عطر الزهر، ولمست لين الحرير، وذقت حلوة العسل، ووجدت برد العافية، وحصلت أشرف العلوم، وعرفت أسرار الأشياء.

وإذا كرهت صارت كل كلمة عندك جارحة، وكل تصرف مشبوهاً، وكل حركة مشكوكاً فيها، وكل إحسان إساءة. المحب هجره وصال، وغضبه رضا، وخطيئته إحسان، وخطؤه صواب.

ويقبح من سواك الفـعل عندي

وتفعله فيـحسـن منك ذاك

الحب حبان: حب أرضي طيني سفلي إنما هو هيام وغرام، وحب علوي سماوي إلهي، وهو طاعة وعبادة وشهادة وسيادة.

فحب الأرض للعيون السود والخدود والقُدود، ووادي الغضا، وأهل البان، وذكريات سلمى، وأيام ليلي.

وحب الإله تعلق بشرعه، وانقياد لأمره، وامتنثال لدينه، وتقرب منه.

حب الطين آهات وزفرات وحسرات وندامات.

وحب رب العالمين علو ورفعة وكرامة وسلامة وسعادة وريادة، كيف لا تحب الله وما من نعمة عليك إلا هو منعمها، ولا بليةٍ إلا هو الذي صرفها؟! هو المحسن وحده - جل في علاه -: فقضاؤه عدل، وشرعه رحمة، وخلقه جميل، وصنعه حكيم، وفضله واسع، ووصفه حسن، فلا عيب في شيء من صفاته، بل الكمال كله فيها، ولا نقص في تدبيره، بل الحكمة أجمعها فيه، ولا خلل في صنعه، بل الحسن أوله وآخره فيه، فحبه واجب، والتقرب منه فريضة، وشكره حتم، وطاعته لازمة.

أما حب سواه فمنافع متبادلة، وأهواء مشتركة، وأغراض مادية، يشوبه الخلل والزلل والإسراف وعدم الاستقرار، مع ما يعقبه من أسف وندامة وحسرة.

ولا أحد في الكون يسكن له العبد، ويتوكل عليه إلا الواحد الأحد، ولذلك سمي نفسه (الله)؛ قيل هو الذي تأله النفوس إليه؛ أي تحبه وتسكن إليه جل في علاه.

الحب للرحمن من جل جلاله

هو مستحق الحب والأشواق

فاصرفه للملك الجليل وئذ به

من كل ما تخشاه من إرهاب



ما الحب؟

لا أعلم كلمة في قاموس العربية تعبر عن الحب مثل كلمة (الحب)، فليس هناك أصدق من (الحاء والباء) في دلالتها على هذا المقصود العظيم، فالحاء تفتح الفم فيبقى فارغاً حتى تأتي الباء فيُضم الفم وتُطبق الشفتان، إذاً هنا اجتماع بعد فرقة ووصل بعد هجرًا!

وكلمة (حب) كلمة عامرة، لها أنداء وأفياء وظلال وأبعاد، وهي كلمة مؤنسة مشجبة منعشة مشوقة، بل هي معجبة مطربة مغربة، لكنها ذائعة شائعة، غير أنها خفيفة لطيفة شريفة؛ لأنها باسمه مبهجة مشرقة، عليها طلاوة، ولها حلاوة وفيها نضارة.

كلمة (حب) عالم من المودة والصلة والأنس والرضى والراحة، وهي دنيا من الأمل والفأل الحسن، والأمس الجميل، واليوم الحافل، والغد الواعد. إنها رحلة في عالم التآلف والتآخي، والتفاهم والتكاتف، والتضامن والتعاون، في كلمة (حب) بسمة وضمة ولهفة واشتياق ولوعة!.

إذا قلت: (حب) تداعت الذكريات القديمة، واثارت المعاني الجميلة، وحضرت المواقف المشجبة، واستعادت النفس شبابها، والقلب أمله، والروح إشراقها، والمجلس بهجته، والحضور أنسه.

إذا قلت: (حب) سافرت بك قافلة الذكرى إلى صور ومشاهد لا تمحى من ذاكرة الزمن، فعرضت لك الطفل يضم الثدي، والناقاة تحنو على الفصيل، والآكام تلف الثمار، والأغصان تعانق الجذوع، والفراشة تلتهم الزهرة، والعش يكتنف الطائر، فما أحسن كلمة (حب) وما أبدعها وما أروعها.

الحب حـرفانِ حـاءٍ بـعدها بـاءُ

تذوب عند معانيها الأحباء!

إذا قلت: (حب) هلَّ غيثُ الرجاء، وهبَّت ريحُ الصفاء، وسرى نسيمُ الوفاء،
وتهللت أساريرُ الوجوه، وانبلجت معالمُ الطلعات، وأشرقت شمسُ الأيام، إذا قلت:
(حب) امتلأت الجوانح بالأشواق، والحشايا بالتلهف، والضمائر بصور الأحباب،
ومعاهد الأصحاب، ومغاني الأتراب.

إذا قلت: (حب) تساقطت أوراقُ البغضاء، وتلاشت نزغات الشر، وارتحلت
قطعان الضغينة، وفرَّت زمرُ الأحقاد، وغربت نجومُ العداوات.

كلمة (حب) سماء شمسها اللقاء، وقمرها العناق، ونجومها الذكريات، وسحبها
الدموع. كلمة (حب) إشراقه من عالم الملكوت، وإطلااله من ديوان الخلود، ووقفه في
بساط العظمة. من استظل بسمائها اتقد شوقه وتدافع خاطره.

وأما تعريف (الحب) فخذهُ نظماً ولا تخش ظلماً ولا هضماً:

الحب بسمة عاشق لو أنها

سـفـرت لـغـار البدر من إطلالها!

وقيل:

الحب أكبرُ أَداننا تُشـوـى وأعيـننا

تُكـوـى، وأعمـمـارنا تُطـوـى على الأملِ

وقيل:

إذا قلت هذا الحب بعدُ ولو عة

وفرقة أصحاب وهجر أقاربِ

فمما الحب إلا الأُنس والقرب والرضى

فدعني فهذا الحكم بعد التجاربِ

وقيل:

الحب كالسحر إلا أن رقيته

شهادة لا يذوق الموت لاقيةها!

وقيل:

الحب ليس رواية شرقية

بأريجها يتزوج الأبطالُ

لكنه الإبحار دون سفينة

ومرادنا أن الوصل أول محال

وقيل:

لعلك يا مـحب ظننت ظناً

بأن الحب جـمعُ وافـتراقُ

أجل هو جـمعُ أوصـالٍ تداعت

وفـرقـة مـهـجـة، ودمٌ يـراقُ!

وقيل: الحب قصة طويلة فصولها الشهداء.

وقيل: الحب سر لا يعرفه المحبون.

وقيل: الحب ليس له تعريف إلا الحب.



أسئلة في الحب

السؤال الأول:

سألت إمام الحي عن حكم عاشقٍ

إذا ازداد حباً صار من شوقه صباً

أيجزئه ذكرٌ وردُّ تحييةٍ

وشهقة شوقٍ كالنسيم إذا هباً؟

فقال: عليه النحر يوم لقائه

بمحبوبه حتى يزيل به الذنب!

السؤال الثاني:

سألنا أبا حمدان عن حكم صاحبٍ

أحب فأهدى الروح خلاً بلا ثمنٍ

أحرم هذا البيع والشرط باطلٌ

أليس يقال المرء حقاً إذا غُبن

فقال: معاذ الله بل صح بيعه

وهذا الذي نفتي به سائر الزمن!

السؤال الثالث:

سألت حماد عن صبٍّ جرى دمه

من أجل أحببته ماذا نقول له؟

فقال: قولوا له يضدي بمهجته

إما سواه على عمد نقول لهوا

المتنبي مفتيا:

يقول أبو الطيب:

قفي واغرمي الأولى من اللحظ مهجتي

بثانية والمتلف الشيء غارمه



صحوة من سُكار الحب

ومن المحبين من هجر الحب المحرم واتصل بالحب الشرعي الطاهر العفيف،
فانتقل من عالم الزور، ودنيا الهيام، وظلام الغرام، ومقام الآثام، إلى جنة الصدق،
وروضة المعرفة، وبستان اليقين، وباحة الإيمان: فهذا ابن أبي مرثد هام - قبل أن
يسلم - بفتاة وعشقتها وسكب عمره في كأس هواها، وأفرغ روحه في كوب نجواها،
وفرغ شبابه على تراب مغناها، فلما هداه الله وغسل قلبه من أدران الهوان وأوصار
المعصية، أفاق - والله - من رقدة الغفلة، ومن سنة الجهالة، ومن سكرة الغي، على
صوت بلال، فارتجف جسمه، وتهذبت روحه، وأعلن في إباء، وصاح في استعلاء:
أتوب إليك يا رب، وأقبل على المصحف، وهب إلى المسجد، واستعان بالصبر والصلاة،
وأدمن الذكر، وسجل رائعته في ديوان الخلود وسفر النجاة ودفتر المجد:

أَبْقَى غَوِيًّا فِي الضَّلَالَةِ سَادِرًا

كَفَى الْمَرْءَ بِالْإِسْلَامِ وَالشَّيْبِ نَاهِيًا

وهذا لبيد بن ربيعة الشاعر المشهور، هام بالغزل ومات بالمقل، وانغمس في الشعر
وحده، يعيش للقافية، ويضحى للقصيدة، ولكنه عرف الله عن طريق الصادق الأمين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
فتاب من حياة العبث والضياع، ورجع إلى المحراب، وأقبل على التلاوة، وأنشد:

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ لَمْ يَأْتَنِي أَجْلِي

حَتَّى اكْتَسَيْتُ مِنَ الْإِسْلَامِ سَرِيالًا

ونذر لله لا ينظم ولو بيتاً واحداً، فإن فعل أعتق رقبة، وقال: كفتني سورة
البقرة عن الشعر.

وهذا إبراهيم بن أدهم عاشق الملك، وهام في الإمارة، والمولود في الرئاسة،
فكَّر ذات يوم فقال: كان أجدادي وأبائي ملوكاً فأين هم الآن؟ هل تحس منهم من
أحدٍ أو تسمع لهم ركزاً؟!، وتذكَّر قول الشاعر:

برقيات إلى الأحبة

الحب على المحبين فرض، وبه قامت السماوات والأرض، من لم يدخل جنة الحب، لن ينال القرب، بالحب عبّد الرب، وتُرك الذنب، وهان الخطب واحتمل الكرب، عقل بلا حب لا يفكر، وعين بلا حب لا تبصر، وسماء بلا حب لا تمطر، وروض بلا حب لا يزهر، وسفينة بلا حب لا تبجر.

بالحب تتألف المجرة، وبالحب تدوم المسرة، بالحب ترتسم على الثغر البسمة، وتنطلق من الفجر النسمة، وتشدو الطيور بالنغمة، أرض بلا حب صحراء، وحديقة بلا حب جرداء، ومقلة بلا حب عمياء، وأذن بلا حب صماء!

الحب هو بساط القربى بين الأحاب، وهو سياج المودة بين الأصحاب:

شكا ألم الفراق الناس قـبـلي

وروع بالنعوى حي ومـيـت

وأما مثل ما ضمت ضلوعي

فإني ما سمعت ولا رأيت!!

بالحب ترضع الأم وليدها، وتروم الناقة وحيدها، بالحب يقع الوفاق، وبالحب يعم السلام، والمودة والوثام.

بالحب يفهم الطلاب كلام المعلم، وبالحب يسير الجيش وراء القائد ويتقدم، وبالحب تذعن الرعيّة، ويعمل بالأحكام الشرعية، وتصان الحرمات، وتقدس القربات.

بيت لا يقوم على الحب مهدوم، جيش لا يحمل الحب مهزوم، لكن أعظم الحب وأجلّه ما جاءت به الملة، أجمل كلمة في الحب قول الرب: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾. فلا تطلب حباً دونه.

ليس حِبّاً قَطْعَةً مَعزُوفَةً
 من يراع الشاعرا المنتحِبِ
 ما (قِفْفا نبكي) هو الحب ولا
 ظبيية البان وذكرى زينبِ
 إنما الحب دمٌ تنزفُه
 في سبيل الله خير القربِ
 أو دموعٌ ثرَّةٌ تبعتها
 سَحَراً أصدق من قلب الصبي
 أو سجودٌ خاشعٌ ترسمُه
 فوق خد الطين فاسجد واقربِ

أحبَّ امرؤ القيس فتاة، وأحب أبو جهل العزى ومناة، وأحب قارون الذهب،
 وأحب الرئاسة أبو لهب، فأفلسوا جميعاً!؛ لأنهم أخطؤوا خطأ شنيعاً. أما حب بلال
 بن رباح فهو البر والصلاح؛ سُحب على الرمضاء، فنادى رب الأرض والسماء،
 وانبعثت من قلبه (أحدٌ أحد)، لأن في القلب إيماناً كجبل أحد.

إذا كان حب الهائمين من الورى
 بليلى وسلمى يسلب اللب والعقلا
 فماذا عسى أن يصنع الهائم الذي
 سرى قلبه شوقاً إلى العالم الأعلى؟!

الحب لا يعترف بالألوان ولا بالأوطان، والدليل بلال وسلمان؛ بلال أبيض القلب
 أسود البشرة، فصار بالحب مع البررة، وأبو لهب بالبغض ليس من أهل البيت،
 وسلمان نال بالحب جائزة: (سلمان منا أهل البيت!).

دعني من حب مجنون ليلي، ومحبوب سلمى، ومعشوق عفرا، فلطالما لطخت بأشعارهم الطروس، وضافت بأخبارهم النفوس، وخذعت بقصائدهم الأجيال واتبعهم الضلال، وحدثني عن أنباء الأنبياء، وهم من أجل حب الرب يهجرون الآباء والأبناء؛ فإبراهيم يتبرأ من أبيه، ونوح من بنيه، وامرأة فرعون تلغي بنفسها عقد النكاح؛ لأن البقاء مع الكافر سفاح.

هذا هو عالم الحب بتضحياته، بأفراحه وأتراحه، وهو حب يصلك برضوان من رضاه مطلب، وعفوه مكسب.

والله ما نظرت عيني لغيرك

يا واهب الحب والأشواق والمهج

كل الذين رووا في الحب ملحمة

في آخر الصف أو في أسفل الدرج!

امرؤ القيس يصيح في نجد وقد غلبه الوجد، (قفنا نبك)، فإذا بكأوه على الأطلال، وإذا دموعه تسفح على الرمال، إنه هيام العقل بلا وازع، وحيرة الإنسان بلا رادع، ورسولنا ﷺ يذوق الويلات، ويعيش النكبات، ثم ينادي مولاه في مناجاة وإخبات، ويقول: «لك العتبي حتى ترضى»!

لا تُضع عمري بشعر طرفة بن العبد وهو يشكو الحب والصد، حب ماذا يا هذا؟!.. أما علمت أن أحد الأنصار، كان يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ بتكرار، فسئل عن المقصود، قال: لأن فيها مدح المعبود، وأنا أحب تلك البنود، فدخل الجنة بالمحبة، لأن الله أحبه..

دعني أمسح فوق الروض أجفاني

فالنار موقدة من حر أشجاني

نسيت في حبيبكم أهلي ومنتجعي

فحببكم عن جميع الناس أهواني!

شغلونا بالروايات الشرقية والمسرحيات الغربية، ويل هذا الجيل وبيله!.. سهر مع غراميات ألف ليلة وليلة، وفي الذكر المنزل والحديث المبجل قصص الحب الصادقة، والمعاني الناطقة، ما يخلب اللب، ويستميل القلب.

أخرجونا يا قوم من ظلمات عشق الأعراب، والهيام في الأهداب، فكل ما فوق التراب تراب، وأدخلونا في عالم الحب الراقي، والدواء الواقعي، الذي تطير له الأرواح، وتهتز له الأشباح، في ملكوت الخلود، وعلى بساط رب الوجود.

بكت عيني غداة البين دموعا

وأخبرى بالبكا بخلت علينا

فعاقتب التي بالدمع ضنت

بأن أغمضتها يوم التقينا

دع حب هؤلاء فإنهم مرضى، وتعال إلى الواحد وناد: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾.

في حالة البعد نفسي كنت أرسلها

تُقَبِّلُ الأَرْضَ عني وهي نائبتي

وهذه دولة الأشباح قد حضرت

فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

حمزة سيد الشهداء يمزق بالحب تمزيقاً، وأنتم تهيمون بروايات غرامية لفقت تليقاً، نقول حدثونا عن الحب عند ابن عباس، فتذكرون لنا عشق أبي نُوَّاس! كفى جفاء، فأما الزبد فيذهب جفاء!!

حب طلحة والزبير أعظم من حب شكسبير؛ لأن حبهم سُطّر في (بدر) لمرضاة القوي العزيز، وحب شكسبير كتب في شوارع لندن لمراهقي الإنجليز.

إن كنت يا شاعر الغرب كتبت رواية الحب بالحبر، فالصحابة سجلوا قصص المحبة بدم الصبر.

ومن عـــــــــجب أني أحـن إليــــــــهم

فأسأل عنهم من لقيت وهم معي

وتطلبهم عيني وهم في سوادها

ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

لا تدري ربما عُدّبت بحبك، وكُتبت عنك عند ربك (هذا فراق بيني وبينك)!
ونحن نسمع من أجل امرأة بكاءك وأنيك.

ولما جعلت الحب خدنا وصاحباً

تركت الهوى والعشق ينتحبان

فلا تُسمعني (شكسبير) ولهوه

ورنة عــــــــــــــــودٍ أو غناء غواني

فلي في رحاب الله ملكٌ ودولة

أظن الضحى والليل قد حسداني!

كلما خرج علينا شاعر مخمور، فاقد الشعور، حفظنا شعره في الصدور، وكتبناه في السطور، وقلنا: يا عالم هذه قصصنا الغرامية، ونسينا رسائلنا الإسلامية، وفتوحاتنا السماوية، التي أذهلت الإنسانية.

علمني الحب من سورة الرحمن، ولا تكدر خاطري بهيام (يا ظبية البان)،
أنا ما أحب لغة العيون، ولكن أحب لغة القلوب، ولا أتبع فلتات أبي نواس
والمجنون، ولكني أرتع في رياض الكتاب المكنون ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاَعْتَزِلُون﴾.

ومعنفي في الحب قلت له: اتئد

فالدمع دمعي والعيون عيوني

الحب الصادق في جامعة (إن المسلمين والمسلمات)، والغرام الرخيص في
مسرح الفنانين والفنانات. استعرض نصوص الحب في وثيقة الوحي المقدس، لترى
فيها حياة الأنفس، فالحب السماوي يدعو العبد إلى حياة مستقيمة، ليجد فضل
الله ونعيمه، أما الحب الأرضي فإنه يقتل الإنسان ويجعله بلا قيمة.

أرق على أرق ومثلي يأرق

وجوى يزيد وعبرة تترقرق

جهد الصبابة أن تكون كما أرى

عينا مسهدة وقلبا يخفق

حب العز عند فرعون، وحب الكنز عند قارون، أما حب الجنة، فعند أبطال
السنة، الذين حصلوا على أعظم منة. الجعد بن درهم ذبح على الابتداء، وأنت تبخل
بدمعة في محراب الاتباع.

أتريد من الجيل أن يحب الملك العلام، ويصلي خلف الإمام، ويحافظ على
تكبيرة الإحرام، وأنت تحفظه رباعيات الخيام، ليلبغهم رسالة لا بعث ولا نشور؟
أعوذ بالله من تلك القشور!.. يا حاج! أين حملة المنهاج، أما ترى كيف عشق
الإمارة الحجاج، وقتل في البدعة الحلاج؟ وأنت من أحرص الناس على حياة،
فماذا تدخل الجنة يا أخاه؟!

مَنْ تَدَاجِي يَا إِبْرَاهِيمَ نَاجِي، وَمَنْ تَكَلِّمُ وَمَنْ تَتَاجِي؟ تَقُولُ: يَا فَوَّادِي رَحِمَ اللَّهُ
الهُوَى، بَلْ قَتَلَ اللَّهُ الْهُوَى!.. مَنْ يَشَارِكُ فِي ثَوْرَةِ الْخَبْزِ، لَا يَحْضُرُ مَعْرَكَةَ الْعِزِّ، لَمَّا
نَسِيَتِ الْأُمَّةُ حُبَّ الْقُلُوبِ، وَاسْتَعْلَتْ بِحُبِّ الْبَطُونِ، رَضِيَتْ بِالذُّونِ، وَعَاشَتْ فِي هَوْنٍ.

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ .

هل عند الأمة فراغ في الأزمان، تسمع صوت الحرمان، وهو ينادي:

بَادِ هَوَاكَ صَبَبْتَ أَمْ لَمْ تَصَبِّبْ رَا

وَبِكَائِكَ إِذْ لَمْ يَجْرِدْ دَمْعُكَ أَوْ جَرَى

نَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلَى صَوْتِ حَبِيبِ بْنِ عَدِي وَهُوَ يَلْقَى

قَصِيدَةَ الْفِدَاءِ، عَلَى خَشْبَةِ الْفَنَاءِ، فِي إِصْرَارِ وَإِبَاءِ، وَصَبْرٍ وَمِضَاءِ:

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أَقْتُلُ مَسْلَمًا

عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَاءُ

يَبَارِكْ عَلَى أَشْءِ شَلْوٍ مَمْنَعٌ

بَارِكْ اللَّهُ فِيكَ وَفِي أَشْلَائِكَ يَا حَبِيبَ، فَأَنْتَ إِلَى قُلُوبِنَا حَبِيبٌ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا

أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَحِبُّكَ وَيُحِبُّكَ مِنْ يَحِبُّكَ، لِيُؤْنَسَنَا قَرِيبَكَ، اللَّهُمَّ ازْرَعْ

شَجَرَةَ حُبِّكَ فِي قُلُوبِنَا، لِنَرَى النُّورَ فِي دُرُوبِنَا، وَنَنْجُو مِنْ ذُنُوبِنَا، وَنَطْهَرُ مِنْ عَيُوبِنَا .

أَحِبُّكَ حُبًّا لَيْسَ فِيهِ غَضَاضَةٌ

وَيَعُضُ مَسْجُودَاتِ الرَّجَالِ سَرَابٌ

وَأَمْحَضَتْكَ الْحُبُّ الصَّحِيحُ وَفِي الْحَشَا

لِوَدِّكَ نَقْشٌ ظَاهِرٌ وَكَتَابٌ

إذا صح منك الود فالكل هيئاً

وكل الذي فوق التراب تراب

وإن تعجب فعجب أن ترى شاعراً بائساً، يشكو ظلماً دارساً، فهو يبكي من نار الغرام، ويشكو ألم الهيام، ولو سافرت روحه في عالم الملكوت، لصار حبه عنده كالقوت. ولو أدرك عنترة الإسلام ما كبا، وما قال: اذكري يا عبل أيام الصبأ.

جرير يشكو العيون السود، وبشار يشكو الصدود، والشريف الرضي يشكو فتنة الخدود، وكأن الحياة لديهم اختصرت في امرأة حسناء، وكأن العمر يتسع لهذا الهراء، ويحسبون أن الناس من أجلهم تركوا المنام، وهجروا الطعام... إذا افتخرنا على الغرب بأن لدينا نساء حسناوات، وفتيات فاتتات، قالوا لنا: عندنا في ذلك مسارح ومسرحيات، ومغامرات وغراميات، لكن فخرنا على الناس أن لدينا رسالة ملأت الكون نوراً، والعالم حبوراً، والدنيا طهوراً.

نحن الذين مالنا جونا كرمأ

وقد بعثنا على قرآننا أممأ

والعالم الآخر المشبوه في ظلم

من يعبد الجنس أو من يعبد الصنمأ



قتيلان لا يستويان

ذكر أهل السير أن سيداً باع جاريةً له وكان له غلام يحبها حباً شديداً، فلما ذهب البائع بالجارية رمى الغلام بنفسه من على سطح بيت عالٍ فوق ميثاً! وقد قال بعض هؤلاء:

والله لو قطعوا رأسي لأتركها

لما نحنو هواها في الهوى رأسي!

قارن بين ما سبق وما رواه ابن حبان، والغزالي في (الإحياء) في كتاب السماع من أن غلاماً كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأمه: من خلق السماء؟ قالت: الله عز وجل، قال فمن خلق الأرض؟ قالت: الله عز وجل، قال: فمن خلق الجبال؟ قالت: الله عز وجل، قال: فمن خلق السحاب؟ قالت: الله عز وجل، قال: إن هذا الرب عظيم، ثم رمى بنفسه من الجبل فتقطع، وإنا وإن كنا لا نقر هذا العمل، لكن انظر كم هو الفرق بين من جعل حياته فداءً لجارية ومن ضحى بروحه من أجل ربه.



ذبت فداها

أما عاشق آخر فيخبرنا بإلحاح ويعلن للملأ أنه قد امتلأ غراماً وعشقاً حتى
النخاع، يقول:

أخبروها إذا أتيتم حماها

أنني ذبت في الغرام فداها

فإذا أخبرناها أنه ذاب في الغرام فداها فماذا سوف يحدث؟! أمن أجل سواد
عينها يذهب حياته هدراً ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾... ولكن تعال إلى شاعر
بغداد وهو يمدح الحي القيوم - جل في علاه - ببيتين من أعذب الشعر يقول:

إليك وإلا لا تشدد الركائبُ

ومنك وإلا فالْمؤمِّلُ خائبُ

وفيك وإلا فالغرام مضيعُ

وعنك وإلا فالمحدثُ كاذبُ

أحسنت لا فُضَّ فوك!.. وهكذا فليكن الإبداع واللموع والتفوق، وأما شاعر
صنعاء فيشاركه في الثناء على الله ولكن مع الاعتذار من التقصير يقول:

سبحان من لو سجدنا بالجباه على

حرارة الجمر والمحمي من الإبر

لم نبلغ العشر من مقدار نعمته

ولا العشير ولا عشراً من العشر



العيون التي في طرفها حورٌ

للموت ألف طريقة، فمنهم من يموت ساجداً لربه، ومنهم من يموت بحد
السيف في سبيل الله، ومنهم من يموت تخمة من كثرة ما أكل، ومنهم من شرب
عصيراً فشرق فمات، ومنهم من ضاع له مائة دينار فمات غنياً، ومنهم من بشر
بجائزة فمات فرحاً، وأما جرير فيخبرنا لتكون على بينة بسبب موته وأمثاله فيقول:

إن العيون التي في طرفها حورٌ

قتلنا ثم لم يُحيين قتلنا

يصـر عن ذا اللب حتى لا حـراك به

وهن أضعف خلق الله إنساناً!

ياله من قتل غير جميل، ومن موت غير شريف، ومن وفاة رخيصة، ولكن اسمع
إلى بطل مجاهد صنديد شهيد وهو يقول:

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجدُ

لنفسى حياةً مثل أن أتقدما

فليس على الأعـتـاب تدمى كلومنا

ولكن على أقدامنا تقطر الدماء!

شكراً لهذه النفوس الحية والأرواح الخالدة، ما أجلها وأشرفها يوم عرفت كيف
تموت ميتة شريفة بالذبح في سبيل الله، لا ميتة رخيصة من أجل العيون السود!

وقد قال الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله يوم أحد:

اللهم خذ من دمي هذا اليوم حتى ترضى!

ابن عباس يتصدق بعينه

وهذا ابن عباس ترجمان القرآن وبحر الأمة وحبرها، يبكي من خشية الله حتى تذهب عيناه فيعزيه أحد الشامتين فينشد ابن عباس:

إن يأخذ الله من عيني نورهما
ففي فؤادي وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غيـر ذـي عـوج
وفي فمي صارمٌ كالسيف مشهور

وفي الحديث القدسي "من ابتليته بحبيتيه (أي بعينه) فصبر، عوضته منهما الجنة!.. وهذا سعيد بن المسيب إمام التابعين أبكاه الحب الصادق حتى ذهب عينه لمرضاة ربه، وكذلك يزيد بن هارون المحدث المشهور فإنه عمي من كثرة البكاء، فقيل له: أين العينان الجميلتان؟ قال أذهبهما - والله - بكاء الأسحار!

أما أحد الشعراء فقد بكى على محبوبته حتى ذهب منه عيناه فقال:

أعيناى كفا عن فؤادي فإنه
من الظلم سعي اثنين في قتل واحد
لقد عميت عيناى من كثرة البكا
لفرقة حب أو لتذكـار فاقد

ويشاركه المتبني هذا البكاء فيقول:

قد كنت أشفق من دمعي على بصري

فاليوم كل عزيز بعدكم هانا

فابن عباس ذهب بصره لمرضاة الله فتوابه الجنة، وهؤلاء ذهب أبصارهم لفلانة فتوابهم الإفلاس والندم والحسرة.



يا لهف نفسي على ملل!

وخرج شاعر من المدينة وراء قافلة وهو يبكي فسئل عن ذلك؟ قال معهم جارية أخذت قلبي وذهبت!، فكان كلما نزلوا منزلاً سأل عنها، فإذا ارتحلوا ارتحل معهم وأخذ ينشد:

وقالوا صحيرات اليمام وقدموا

ركائبهم من آخر الليل في الثقل

وردن على ماء العشييرة والهوى

على ملل يا لهف نفسي على ملل!

لكن جعفر الطيار ابن عم المختار، يخرج مسرعاً إلى مؤتة لترفع روحه هناك ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾، فيتقدم ويقاقل ليضحى بنفسه فداء لدينه ويلقى المنية باسمه وهو ينشد:

يا حبيبا الجنة واقترابها

طيبة وبارد شرابها

والروم روم قددنا عذابها

كافرة بعيدة أنسابها

علي إن لاقيتها ضرابها

فتقطع يده وتطير روحه إلى الجنة ويبدله الله بجناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياءٌ عند ربهم يرزقون﴾.



جعل المناسك أرض محبوبته

وهذا محب مفتون غلب عليه العشق والغرام والتولّهُ بمحبوبته حتى رفض الخروج إلى مكة لأداء الحج وقال معتذراً

حجي إلى الباب القديم، وكعبتي

الباب الجديد، وبالمصلى الموقفاً

والله لو علم الحججيج وقوفنا

في زندروز عشية ما وقّفوا

أو شاهدوا جسر الحسين وشعبه

بين المحصب والنقا ما عرفوا

أما علي بن الحسين زين العابدين فإنه لما حج أراد أن يلبى؟ فارتعدت فرائضه وارتعش جسمه واحمر لونه فقبل له: مالك؟ قال: أخشى إن قلت: لبيك اللهم لبيك أن يقال لي: لا لبيك ولا سعديك!.

وهذا من خشيته وعظيم تقواه وقوة ورعه وخوفه من ربه، وعند الحاكم في المستدرک أن الرسول ﷺ لما استلم الحجر الأسود بكى بكاء شديداً، ثم التفت فرأى عمر فقال: هنا تسكب العبرات يا عمر!.



وأي جهاد غيرهن أريد؟!

دُعِيَّ جميل بثينة للجهاد في سبيل الله ليكون كفارة له علَّ الله أن يرزقه شهادة ينال بها رضوان الله، فاعتذر وهو يقول:

يقولون جاهد يا جميل بغزوة

وأي جهاد غيرهن أريد!

وفي الحديث: «ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

ولكن الطرماح بن حكيم الشاعر المجاهد الصادق يدعو ربه أن يرزقه الشهادة ويقول:

أيارب لا تجعـل وفـاتـي إن آتت

على شرجع يعلو بحسن المطارف ولكن شهيداً ثاوياً

في عـصـابـة

يصـابـون في فج من الأرض خـائـف

فجميل يرى أن أعظم الجهاد حب النساء، والطرماح يرى أن أعظم من ذلك رضوان رب الأرض والسماء!.. ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾.

ألا بلغ الله الحـمى من يريده

وبلغ أطراف الحـمى من يريدها



في القلب لا في الرأس

ويزعجنا إيليا أبو ماضي بصياحه ونحيبه وعويله وصراخه وهو ينادي:

يا من لقلب كـلـمـا ضـمـمـدته

مألاً الجراح مـوـاجـعـي وحواسي

لو أنه في الرأس كنت ضـمـمـدته

لكنه في القلب لا في الرأس

وما الجرح؟ .. أظنه جرح الهوى والغى الذي شرحه في طلاسمه [جئت لا

أعلم من أين ولكني أتيت]! ..



محب يتوب

يا أخي بلغني أنك تبت، وإلى ربك أنبت، فسرني والله ذلك سرور من وجد
المفقود وبشر بالمولود؛ لأننا كنا نفقدك في صفوف الطائعين، والآن وجدت، وكنا
نسأل عنك في موكب الضالين، والآن وفدت، فأهلاً بك يا من أشرقت لتوبته
الأفراح وتجددت، فوالله لو كتبنا برموش العين على صحائف الخدود تحية لقدمك
لما أنصفنا، ولو رسمنا بنياط القلوب على سويدائها ثناءنا عليك لما بالغنا، أحبك الله
فاجتباك وأثرك فاصطفاك، كنت عبده قبل التوبة مكرهاً مضطراً مغصوباً، وصرت
اليوم عبده بعد التوبة قريباً مطيعاً محبوباً، يا أهلاً بمن فرح الله بتوبته، يا مرحباً
بمن استبشرت الملائكة بعودته، يا سهلاً بمن تفتحت السماء لدعائه، يا حناناً لمن
ذابت المهج لبكائه، يا قرة عين لمن أنصت عالم الغيب لندائه، سبحان من ابتلاك
بالذنب ليكسرك كسرة فيها حسرة، ثم جبرك بالتوبة لتذوق لذة الأوبة ويغسل عنك
أدران الحوبة، ركبت إلى الخطايا المطايا فأمهلك وما أهلكك براً وكرماً، ثم جذبك
إليه بحبل التوفيق وأركبك سفينة النجاة في البحر العميق، تبارك من ألبسك تاج
التوبة، وزينك بوشاح المحبة، وجملك برداء القبول، دمعك على ما مضى يسأل في
ديوان الرضى، وتأسفك على ما فات منشور الحسنة وسلم الدرجات، كلما قلت
من ذنبك آه، قيل لك: طبت يا (أواه) فقد قبلك الله، كلما صحت من خطاياك
ونحت، نوديت نجوت وأفلتت، كلما ذرفت منك دمعة أوقدت لك في عليين شمعة،
كلما ضج فؤادك شاكياً باكياً قيل لك: دمت طاهراً زاكياً، أدمت الخطيئة - قبل -
أبيك آدم فنودي: يا آدم لو لم تكن التوبة أحب شيء إلينا ما ابتلينا بالذنب أعز
الناس علينا:

لعل عتبك محمود عواقبه

فربما صحت الأجسام بالعلل

لما ترك الذنب زال عنه الكرب، وذهب عنه الخطب، ورضي عنه الرب: ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ :

ســــــــامح الدمع إن أبان جــــــــوانا

نحن لا نكتم الدموع الغـــــــــزارا

بكى داود حتى بكت معه أحبابه، وتفجع حتى رق له أصحابه فنودي:

رجوعك إلينا أحب من إدلالك علينا، دمعة على مصابك أشرف من ألف ركعة مع إعجابك، فيا أيها التائب لو تدري بمدلول حديث: «لله أفرح بتوبة عبده» لهمت طرباً، ولتقطعت من الشوق إرباً إرباً، ولو علمت بتزيين الجنان لقدومك لجعلت أفراح أعيادك مكان همومك، ولو اطلمت فرأيت مقعدك في الفردوس الأعلى، والملائكة ينادون أهلاً وسهلاً، والخور يقلن وأعلى وأعلى! لذبت سروراً وملئت حبوراً، ولصرت من البهجة مبهوراً، وفي ظلال الأنس مغموراً، أيها التائب أبشر بخير يوم طلعت عليك فيه الشمس، فأنت ابن اليوم لا غد ولا أمس، طاب ممشاك، وأفح وجهك، وقرت عينك، وسرت روحك، وعلا قدرك، ورفع ذكرك، هنيئاً لك بندا: ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا ﴾، إذا وصلك الخطاب، وعرفت الجواب، ورفع لك الحجاب، فسبحان من جبر كسر من زل، ودمل جرح من ضل، وراش جناح من ذل، اقترفوا، وعلى الهلاك أشرفوا، فاعترفوا، فبشروا بـ ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا ﴾، أخطؤوا، فأسفوا، وندموا على ما أسلفوا فوعدوا بـ ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا ﴾ للمعاصي في أول العمر أزلفوا، ثم عادوا إلى باب أرحم الراحمين ووقفوا فسمعوا: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا .. يتقلب التائب في الليل الداجي يبكي ويناجي فيقال له: ما عليك اطلعننا فسترنا، وعرفنا فعذرنا، وعلمنا فحللنا، وقدرنا فغفرنا!.

قال التائب: يا رب أذنبت قال: وأنا غفرت، قال التائب: ذنوبي تجل عن الإحصاء، قال الرب: ولو بلغت عنان السماء، قال التائب: يا رب أهلكتي السيئات، قال الرب: إن الحسنات يذهبن السيئات، قال التائب: يا رب تسامحنا على ما فات

أما تحاسبنا على تلك الزلات؟ فقال الرب: بل أبدل السيئات حسنات، قال التائب: لا أكرم منك أحد، قال الله أنا الصمد!..

جاء مذنب إلى عالم فقال: غرقت في الذنوب، فقال له: الآن أدركتك رحمة علام الغيوب، وقال أحد السلف: والله لو خيرت أن يحاسبني ربي أو يحاسبني أبي وأمي لاخترت حساب ربي لأنه أرحم الراحمين!.

أيها التائب أبشر فإن تذكرك لذنبك طاعة منك لربك، كلما احترق قلبك بنار الندم، ذابت جبال الخطايا واللمم، كلما أطار الهم نومك وكدر الحزن يومك غسلت سيئاتك ومحيت خطيئاتك، التائب حبيب الله وصديق عباده، وضيع رحمته، ووافد جنته، ومستحق كرامته، وحائر قربه، التائب يحبه المرسلون لأنه صدق قيلهم، واتبع سبيلهم، واقتفى دليلهم، والتائب تحبه الملائكة؛ لأنهم يستغفرون له، ويفرحون بطاعته، ويحبون توبته، والتائب يحبه المؤمنون؛ لأنه أعانهم على نفسه، وجاهد معهم شيطانه، وأرضى إلههم وإلهه، دمع التائب طاهر، لو وقعت منه قطرة على جليد الخطايا لذاب، ولو سقط على ركام المعاصي لغاب، دمع التائب على صدق صاحبه برهان، وعلى صحة توبته سلطان:

إذا اشـتـبـكتـ دمـوعـ في خـدود

تبين من بكى ممن تبـاكى

أيها التائب الآن عرفت فالزم، ووصلت فاسلم، وحصلت فاغنم، فتقدم ولا تحجم، الباب أمامك مفتوح، والعطاء من ربك ممنوح، والكرم منه يغدو ويروح:

والله والله مـا أبكى على طلل

أقضى وأقضى من أهل وسكان

ولا بكيت على واد الغضا سحراً

أو خيمة بين روض الطلح والبان

وما ذرفت دموعي في الهوى سفهاً
 لضيء خلٍّ ولا تذكار جيرانِ
 لكن لذكر ذنوبٍ ليبتها مُحِيت
 بعفـو ربٍّ وغـفرانٍ واحـسانِ

قل للمخطئين ومن في المعاصي تورطوا، لأنكم خلقتم من الطين أبشروا برحمة
 أرحم الراحمين، من الذي دعاه فما لباه؟ من الذي سأله فما أعطاه؟ من الذي
 استجار به فما حماه؟ من الذي استجد به فما كفاه؟ من الذي أوى إليه فما آواه؟ ..
 أيها التائب ارتكبتُ امرأةً ذنباً، فأسقت كلباً، فأرضت ربياً، وكشفت خطباً، وأزالت
 كريباً، قالوا في الأخبار وقديم الآثار: وقعت حمامة في ملامة فأكثرت الندامة،
 فبكت على الغصون بدمع هتون، وناحت في شجون وأنشدت:

ربي إذا ما القلب أفحم بالرضا
 ويكى لفرط ذنوبه وأتاك
 هل تعفُ عنه وهل تزيل همومه
 إذ لا إله لذي الوجود سواك

فهتف بها هاتف يقول: مَنْ عصانا أمهلنا، ومن تاب إلينا قبلنا، ومن أطاعنا
 قربناه.. يا أيها التائب أما ترى فيل أبرهة وجّهوه إلى البيت العتيق فأبى، وضربوه
 فبكى خجلاً من صاحب البيت!:

والله لو قطعوا رأسي لأجلكم
 لسار نحو هواكم في الهوى رأسي
 ولو هوت قدمي ممشى لغـيـركم
 لقلت بيئي وما بالبين من بأس

نظر رجل في المرأة وهو في الأربعين وقد عصى رب العالمين، فرأى الشيب قد غطى عارضيه فصاح: أواه، وأسفاه، يا رباه!، ثم ذهب إلى عالم فقال له:

أما ترى الشيب في هذا السواد شطا

ونحن في ليل لهُـ ونركب الغلطا

أراه ينهـرني عـمـا ألم به

كأنما هو سيف بالهـلاك سطا؟!

فقال العالم: إن كان صبح الشباب عذرك، فإن غروب الشيب أنذرك، فتب إليه، واشكُ الحال عليه، فإذا لقيته يوم الدين، وقال لك: عبدي ما أغرك بي؟ فقل بركُ بي!.

بكى عمر بن عبد العزيز ثم قال: اللهم إنك قلت: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، وأنا شيء فلتسعني رحمتك!. وخرج أحد العباد يصلي بالناس الاستسقاء وهو شيخ كبير، فكشف رأسه فإذا هو أبيض كالقطن، وقبض لحيته وبكى وقال:

سبحان من يعضو ونهضو دائماً

ولم يزل مهما هفا العبدُ عفا

يُعطي الذي يخطي ولا يمنعهُ

جلاله عن العطي لذي الخطا!

فنزّل الغيث!.



براهين الحب

الأبطال يقدمون الرؤوس والنفوس لتلك المعالي والضروس، فيا عابد الدراهم والفلوس، عش في عبوس، ودم في نكوس.

قال نور الدين محمود: «اللهم احشرنى في حواصل الطير وبطنون السباع، فرزق الشهادة. وقال ابن الطرماح: اللهم لا تجعل وفاتي على سرير في الدار، ولكن اقتلني بسيف الكفار. وقال طلحة يوم أحد: اللهم خذ من دمي هذا اليوم حتى ترضى. وقال عبد الله بن جحش: اللهم إنك تعلم أني أحبك.. وقال أعرابي رب أرسل عليّ في المعركة سهماً يقتلني.. وصح في الحديث: «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»، وسأل ابن رواحة ربه أن يطعن في سبيله طعنة تصل الكبد!..

ياليت أنك قد حـضرت نزالنا

ورأيت كيف تقطع الأعناقُ

كأس المنايا بيننا نحسوبه

حب المهيم من كله تريقُ

صارت كأغماد السيوف صدورنا

والرمح في أحشائنا خفأقُ

متضرجين دماً فلو أبصرتنا

أنسائك ما قد أنشد العشاقُ

طعن الإمام المحدث النابلسي بالخنجر في سبيل الله، فكلما طعن طعنة قال: الله الله الله!، فمات وهو يقول الله الله!.. قال أهل السير نرف دمه، فكتب على الأرض الله الله الله، فالله أعلم، والعهدة على الرواة:

إذا قتلوا صحت بحق دماهم
 وكان قديماً من مناياهم القتلُ
 تدوس الخيول الصافنات رؤوسهم
 غريبون لآمال لديهم ولا أهلُ
 تكسرت الأسياف يوم نزالهم
 وفلت رمح الموت وانقطع النبلُ



تضحية برجال لا بجمال!

وفي عالم التضحية يتقدم عضد الدولة الملك المشهور بذبح ثلاثة ملوك من الكفار في عيد الأضحى المبارك ويهنئه الشاعر فيقول:

صَلِّ يَاذَا الْعَمَلِ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ
 كُلُّ ضُفْدٍ وَشَانِيٍّ لَكَ أَبْتَرُ
 أَنْتَ أَعْلَى مِنْ أَنْ تَكُونَ أَضْحَا حَيْكِ
 قَرُومًا مِنَ الْجَمَالِ تُعْفَرُ
 بَلْ قَرُومًا مِنَ الْمُلُوكِ ذَوِي السُّؤْدِ
 تِيْجَانِهِمْ أَمَامَكَ تُنْثَرُ
 كَلِمَا خَرَّ سَاجِدًا لَكَ رَأْسُ
 مِنْهُمْ قَالِ سَيِّفِكَ: اللَّهُ أَكْبَرُ!

وهذا مثل أضحية الأمير خالد القسري لما صعد المنبر يوم عيد الأضحى، فخطب الناس وقال أيها الناس: ضحوا تقبل الله أضحيتكم، فإني مضحُّ بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، يقول ابن القيم:

وَلِذَاكَ ضَحَى خَالِدٌ بِالْجَعْدِ
 يَوْمَ ذَبَائِحِ الْقَرِيْبَانِ
 إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لَيْسَ خَلِيْلًا لَهُ
 كَلَامًا وَلَا مَوْسَى الْكَلِيمِ الدَّانِي
 شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كُلَّ صَاحِبِ سَنَةٍ
 لَلَّهِ دَرَكٌ مِنْ أَخِي قَرِيْبَانِ



(يحبهم ويحبونه)

(يحبهم)!.. هذا عجيب، لأنه غني عنهم، وهم فقراء إليه، ولا يعتمد عليهم، ويعتمدون عليه، ولا يطلب شيئاً منهم، وهم يطلبونه في كل شيء.

وعجيب أن يحبهم وهم مخلوقون، وهو الذي خلق، ومرزوقون وهو الذي رزق.

(ويحبونه).. ليس بعجيب، فقد صورهم وهم أجنة، ثم أخرجهم من بطون أمهاتهم وله المنة، ثم هداهم بالكتاب والسنة.

ويحبونه؛ لأنه أعطاهم القلوب، والأسماع، والأبصار، وسخر لهم الشمس والقمر والليل والنهار، وحماهم من الأخطار في القفار والبحار.

ولو قال: يحبهم، وسكت لتوهم منهم الجفاء، ولو قال: يحبونه، وسكت، لقليل ليس لهم عنده احتفاء، فلما قال: (يحبهم ويحبونه)، تم الوداد والصفاء، وظهر الوفاق والوفاء.



ضحايا الحب.. شعراً

الحب في لغة الهوى حرفان
 لغة القلوب ولا يذك رموزها
 متوهج بلهيب ذكرى لو هوت
 ومضرج بدم الشهادة معلناً
 ذابت حشاشته ورق خطابه
 بعثت له بالدمع ألف رسالة
 فإذا قرأت حروفها في ليلة
 الحب ليس قصيدة عربية
 الحب ليس رواية منسوجة
 الحب ليس تهتكاً وتهافتاً
 الحب ليس من الدعي مقالة
 كلا وليست خيمة بدوية
 ما كان حباً مسرحية عابث
 الحب أن يقف الضؤاد مولهاً
 لو سال من جسم المحب دماؤه
 ترمي العيون إليه وهي نواعس
 فإذا التقى سهم الوصال بقلبه
 لكنه يوم النوى لغتان
 إلا فؤاد دائم الخفقان
 في البحر ظل البحر في هيجان
 أسماء من ذبحوا على القربان
 فتجاوبت لحنينه العينان
 مظروفة بكمائم الأضغان
 أيقنت أن الحب شيء ثان
 محبوكة الأطراف والأوزان
 للعرض والإعلام والإعلان
 وتظاهراً بمرارة الحرمان
 منحوتة بعجائب البلدان
 مضروبة الأطناب في الصوان
 أدوارها تصميك بالدوران
 أنفاسه من لاهب النيران
 كتبت حروف الحب في الجدران
 سهمين من وصل ومن هجران
 هزته ذكر ملاعب الولدان

فهو الشهيد بساحة الميدان
 أشواق مَنْ رحلوا من الأوطان
 ما عاد من صبرٍ ومن سلوان
 هجر الكرى ومجالس الإخوان
 لارتعاع وهو يُعدُّ في الشجعان!
 لظننتها من لاهب النيران!
 فكأنه يشكو إلى الدبران
 ثوب السهاد بليلة الأحزان
 تغنيه عن خلُع وعن قمصان
 متلهفاً كالواله الحيران
 متمثلاً في صورة الخجلان
 في كل ناحيةٍ وكلِّ زمان
 أو ناح رعدٌ قال صوت فلان!
 والغيث يشبه دمع مَنْ يهواني!
 من شوقه في سالف الأزمان
 وهو المسهد من بني الإنسان
 حساده فهو البعيد الداني
 وسقاك من جفنيه مَنْ أسقاني!
 هجر المحبَّ وفرقة الخلان!
 وتبيت أنت مجرَّح الأركان

وإذا أتى بالهجر سهمٌ صائبٌ
 وتثير أنفاس الصباح بروحه
 فيظل في بحر التذكر باكياً
 وإذا الصبأ هبت وحلَّ أريجها
 لو مرَّ طيفٌ حبيب به بمنامه
 أما الضلوع فلو لمست لهيبها
 هجر الرقاد وقد تصدق بالكرى
 خلعت له الجوزاء من أسمالها
 وكساه حتى الليل بردة عاشق
 تلقاه مـفـجوعاً يـقلِّب كفه
 فإذا غفا فحبيب به في جفنه
 وإذا صحا فخيال مَنْ يهوى غدا
 إن لاح برقٌ قال بسمة عاشق
 والصبح طلعة وجهه وجماله
 ونشيد طير الروض يحيي ميتاً
 فهو المعذب بالتجني حاضراً
 من فرط ما قد راعه يحنو له
 يا لائمي في الحب ليتك ذقته
 إن كنت تعدلني فجرب ساعةً
 فليسوف تعذرني وتفقه قصتي

سِحْرٌ وفوق لماته خالان
 ضرباتها تهدي الردى لجنان
 وحلاوة من منطلق فتان
 والشهد ترشف شمعه شفتان
 يُنسيك عذب معازف العيدان
 لا يصح سامعه من الإدمان!
 من دفء حب إنه سُكران
 وتوضأت بضياؤها كفان
 والغيثُ مسأها على إبان
 ما شئت من شيخ ومن ريحان
 لله من طلٍّ ومن أردان
 كلاً ولا في الحسن يستويان
 حبي ولم أرهن عليه جناني
 روضاً وما أسكنته بستاني
 وذكرت كل العمر ما أنساني!
 أهل الثنا والبر والإحسان
 شرفاً وبصرني الهدى وحباني
 ولرازقي هو صاحب السبحان
 والفخر لي بعبادة الرحمن
 متوجهين إلى عظيم الشأن

أنا ما هويت مريباً ألاحظه
 ورموشه كسيوف هندٍ أشرعت
 وعلى الجبين من الجمال مهابةٌ
 فالنور من تلك الثنايا ذائبٌ
 وكلامه سحرٌ حلالٌ مترفٌ
 كالخمر إلا أنه من سكره
 سكرٌ من النغم البريء وآخرٌ
 قالوا الثريا علقت بجبينه
 ما روضةٌ فيحاءٌ باكرها الندى
 والمسك في أعطاف كل خميلةٍ
 والطلُّ في أردانها متماوجٌ
 يوماً بأذكى من تضيوع عطره
 لم يسبني هذا ولم أهدي له
 كلا وما أحلته من مهجتي
 عهدُ الزيانب كلُّه أنسيته
 حبي لأعظم من يُحبُّ وإنه
 حبي لمن منح الجميل وزادني
 حبي لمالك مهجتي ولخالقي
 شرفي بأني عبده يا فرحتي
 وعليه سار الفائزون جميعهم

تلك الجماجم والتقى الجمعان
 وسعوا إلى التنكيل في إذعان
 ومضمخ دامي الملابس قاني
 فوق اللظى، يشوى على الصوان
 ألفيته بحواصل الغريان!
 وسواهمو لمحبة النسوان!
 إن كان ذاك الضعل في إمكان
 وهج السيوف وزحمة الشجعان
 ضرب الردى من فارس طعان
 أن العلا حرمت على الكسلان
 يوم الأذان يضحج في الأذان
 متملقاً للواحد الديان
 عند العظيم مصوراً الأكوان
 متصدع لعجائب القرآن
 ندماً بنطق مقصر خجلان
 تقدر عليه لسطوة الشيطان
 أقسى البقاء لفلس خسران!

ولأجله بذلوا النفوس وعلقت
 سالت على حد السيوف دماؤهم
 فمجندل ومعفر ومضرج
 ومقطع الأوصال يسحب جسمه
 ومبعثر الأشلاء لوجمعته
 قتلوا لأجل محبتهم وحبيبهم
 فاعرف (ضحايا الحب) وافعل فعلهم
 فإذا جبنت من القتال وخفت من
 وخشيت من وخز الرماح ولم تطق
 وبخلت بالنفس النفيسة موقناً
 فاهجر فراشك والمنام مهلاً
 واحضر إلى الصف المقدم ضارعاً
 واسكب دموعاً لا تصان لموقف
 واهتف بصوت خافت متخشع
 ومعفراً منك الجبين ومعلنأ
 فإذا أبيت ولم تطق هذا ولم
 فتمن موتاً عاجلاً وارحل فما

